

لفضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد أيوب القرشي

غفـر الله له ولوالديـه وللمؤمنيـن أجمعيـن



فتنةُ الشّام

مَحْقٌ لأهلِ الكفر وتَمْحيصٌ لأهلِ الإسلام

لفضيلة الشيخ

أبي عبد اللّه محمد أيوب القرشي

غفر اللهُ له ولوالديه وللمؤمنين أجمعين

1436 هـ | 2015 م



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي جعلَ مداولةَ الأيام، مَحْقًا لأهل الأكفر، وتمحيصًا لأهل الإسلام، فقال –وهو والقدُّوس السَّلام–: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: 140-141]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، أنجز وعدَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزابَ وحدَه، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه من خلقه وخليلُه، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه، وعلى من تمسَّك بهديه وأقواله.

أمَّا بعد: فإنَّ صِدقَ الإيمان يدعو صاحبَه لحبِّ الإقامة بين الموحدين المسلمين، وبجوار إخوانه الصالحين المصلحين، على أرضٍ: مساجدُها أكثرُ من أسواقها، وأبرارُها أكثرُ من أشرارها، على أرضٍ: يُسمع فيها الأذانُ جهارًا، ليلًا وفجرًا ونهارًا، على أرضٍ: نساؤها متحجِّبات متجلببات تَفِلات، غير كاسيات ولا عاريات ولا مميلات مائلات.

وعلى عكس هذا، فإنَّ الكفر –وضَعفَ الإيمان– يدعو صاحبَه لحبِّ الإقامة بين أظهر المشركين الكفرة، وبجوار الفسقة الفجرة، على أرضٍ: أسواقُها أكثرُ من مساجدِها، وأشرارُها أكثرُ من أبرارِها، على أرضٍ: يُجهر فيها بالفواحش والمنكرات، وقبائح المعاصي والسيئات.

فإذا عرفتَ هذا ووعيتَه، وبانَ لك صدقُه وفهمتَه، فانظر إلى قلبك ومَيلِه، وحاسِبْه على مرادِه وذوقِه، فإن اطمأنَّ للإقامة بأرضٍ يقام فيها شرعُ الله تعالى –القائم على الرحمة والعدل– ويؤمر فيها بالمعروف، وينهى فيها عن المنكر؛ فاحمد اللهَ تعالى، واسألْه الثباتَ إلى أن تلقاه.

وإن اشمأزَّ من ذلك قلبُك، وضاق عليه صدرُك، ورغبتَ في الإقامة بأرضٍ يقام فيها حكمُ الجاهلية –القائم على الشرك والجور والظلم والتناقض– المتمثل في القوانين الوضعية؛ فاسأل اللهَ تعالى أن يحييَ قلبَك فإنَّه ميتٌ، وأسرعْ إلى التوبة قبل أن يُحال بينَك وبينَها، فتقول حين ولاتَ مناص: ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ..**﴾ [المؤمنون: 99، 100]. أو تقول: ﴿**رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [المنافقون: 10].

فإنَّ قال قائلٌ: وأين هذه الأرضُ التي يحبُّها الله تعالى، والتي يدعو الإيمانُ صاحبَه للمقام بها؟

فالجواب: اعلم –رحمك الله– أنَّ الفارقَ بينك وبين الكافر المشرك، هو أنَّك مؤمنٌ بربّك، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فحين تقرأ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [الحجرات: 1] معنى ذلك: أنَّك لا تقول قولًا، أو تعمل عملًا مخالفًا للكتاب والسنة، ومعنى ذلك: أنك حريصٌ على مرضاة الله تعالى، وحريصٌ على أن لا تكون ممن غضِب عليهم أو لعنَهم.

إذا فهمتَ هذا –وكنتَ كذلك– فاسمع ما قاله ربُّك الذي تعبده، ورضيتَ به ربًّا، واسمع ما قاله نبيُّك الذي تحبه، ورضيتَ به نبيًّا.

يقول جل وعلا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ**﴾؟ [النساء:97]، قال الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ﷺ: "أي: في أيِّ فريقٍ كنتم؟ أفي فريقِ المسلمين، أم في فريقِ المشركين؟ فاعتذروا عن كونهم لم يكونوا في فريق المسلمين بالاستضعاف: ﴿**قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ**﴾ فلم تعذرهم الملائكة: ﴿**قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: 97-100]"[1].

فهذا التوبيخ من الملائكة لأناسٍ كانوا مؤمنين مستضعفين لم يستطيعوا الهجرة، "وقد فتن بعضهم عن دينهم فعلًا واضطر بعضهم إلى إظهار الكفر تقيةً، ومشاركة المشركين عبادتهم، وكانت هذه التقية جائزةً لهم يوم أن لم تكن لهم دولة يهاجرون إليها –متى استطاعوا– فأمَّا بعد قيام الدولة، ووجود دار الإسلام، فإنَّ الخضوع للفتنة، أو الالتجاء للتقية، وفي الوسع الهجرة والجهر بالإسلام، والحياة في دار الإسلام؛ أمر غير مقبول"[2].

(1) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (8/ 125).
(2) في ظلال القرآن (2/ 743).

وهكذا اليوم، تتكرَّر سنَّةُ الله الكونية، فبعد أن أُعلنت الخلافة الإسلامية، وصارت للمسلمين دولةٌ الإسلام -بكلِّ ما تحمله الكلمة من حقائق ظاهرة على الواقع-؛ لم يبق لذي علمٍ عذرٌ في الإقامة بين أظهر المشركين -سواء في ديار الكفر الأصلي، أو في ديار الردة-.

وقد ينكر جاهلٌ أو عاميٌّ فيقول: أليست الدولُ العربيةُ إسلاميةً؟ فكيف تزعمون أنَّ الدولة الوحيدة الإسلامية هي: دولة الخلافة تحت إمرة أبي بكرٍ البغدادي؟

فالجواب: اعلم -وفقني الله وإيَّاك لاتباع الحق- أنَّ دار الإسلام -والتي يطلق عليها في عصرنا: دولة الإسلام- قد حدَّد العلماء معالمها وأوصافها وشروط إطلاق وصف الإسلام عليها، فإذا اختلَّت تلك الشروط -أو شرط واحد- لم يطلق عليها: دار الإسلام، بل يطلق عليها: دار كفر -دار حرب-.

وأصح الأقوال -باختصار- في تعريف دار الإسلام -دولة الإسلام- هي: أن تظهر فيها الشعائر والشرائع الدينية، ويكون القهر والغلبة فيها للمسلمين. فإن كان العكس، فالدار -أي الدولة-: دار كفر.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "قال الجمهور: دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون، وجرت عليها أحكام الإسلام، **وما لم تجر عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام**، وإن لاصقها، فهذه الطائف قريبة إلى مكة جدًّا ولم تصر دار إسلام بفتح مكة، وكذلك الساحل"[3].

وقال الكاساني رحمه الله: "لا خلافَ بين أصحابنا في أنَّ دار الكفر **تصير دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها** واختلفوا في دار الإسلام، إنها بماذا تصير دار الكفر؟ قال أبو حنيفة: إنها لا تصير دار الكفر إلا بثلاث شرائط، أحدها: ظهور أحكام الكفر فيها. والثاني: أن تكون متاخمة لدار الكفر. والثالث: أن لا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمنًا بالأمان الأول، وهو أمان المسلمين.

وقال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله: "إنها **تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها**"[4].

---

(3) أحكام أهل الذمة (2/ 728).

(4) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (7/ 130).

قال مقيِّدُه –عفا الله عنه–: فانظر –يا رعاك الله– وخبِّرني بربِّك: ما هي الدولة التي تُحكِّم شرعَ الله وتنبذُ القوانين الوضعية، والمواثيق الدولية جملةً وتفصيلًا؟ إنها –ولا ريب– دولةٌ واحدةٌ: دولةُ الخلافة المباركة. فهي –إذًا– دار الإسلام، وما عداها دار كفر –أو ردَّة– ويعامل أهلها كلٌّ حسب دينه، إذ أغلب دول الردة سكانها مسلمون بالفطرة، مع غلبة الجهل عليهم بحقيقة التوحيد، وتلبيس علماء السلطة عليهم.

وكأنِّي بك تستنكر قائلًا: أليست المساجد من ظواهر الدين، وهذا الأذان يعلن خمس مرات في اليوم، والناس يصلون ويصومون ويحجون، فكيف تزعم أن هذه الدول: ديار كفر؟!

الجواب: قد نقلنا لك بعض أقوال أهل العلم، في كون دار الإسلام هي التي تعلوها الأحكام الإسلامية –أي الشريعة الإسلامية التي أمر بها ربنا ورضيها دينًا– فأما إذا علتها أحكامٌ جاهلية، وأُجبر الناس على التحاكم بها وإليها، فالدار دار كفر، ولا اعتبار بالمساجد والأذان، فإنَّ بعض الدول الغربية –مثل فرنسا وألمانيا والسويد وبريطانيا– تسمح للمسلمين برفع أذان الصلاة، ومؤخَّرًا في جامعة "دوك"، بولاية نورث كارولينا الأمريكية سُمح للطلبة المسلمين برفع صوت الأذان داخل كنيسة لأداء صلاة الجمعة، والمسلمون –سواء في الغرب أو أمريكا أو كندا– يصلُّون بكل حرية، ويصومون ويحجون من هناك، بل ما من بلد أروبي إلا ويسمح للمسلمين بالصلاة، ولا يمنعهم. فهل يقال: إن هذه الدول الكافرة دول إسلامية؟!

أضف إلى ذلك، أن هذه المساجد –سواء في الدول العربية أو في الغرب– كلها ملغومة بالجواسيس والمخابرات، فهل سمعت –قط– شيخًا يتكلم عن هؤلاء الطواغيت الذي بدَّلوا وغيَّروا؟ بل الخطب المنبرية كلها تُنقَل بالحرف وترفع إلى الداخلية، فهل هذا هو دين الله تعالى؟

وانظر ما جاء في الدُّرر: "وأما البلد التي يحكم عليها بأنها بلد كفر، فقال ابن مفلح: وكل دار غلب عليها أحكام المسلمين، فدار إسلام. وإن غلب عليها أحكام الكفر، فدار كفر؛ ولا دار غيرهما"[(5)].

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله: "الدار إنما تنسب للغالب عليها، والحاكم فيها، والمالك لها"[(6)].

---

(5) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (9/ 248).

(6) المحلى بالآثار (12/ 126).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: "الاعتبار بظهور الكلمة فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذونًا له بذلك من أهل الإسلام فهذه دار إسلام ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها لأنها لم تظهر بقوة الكفار ولا بصولتهم، كما هو مشاهد في أهل الذمة من اليهود والنصارى والمعاهدين الساكنين في المدائن الإسلامية وإذا كان الأمر العكس فالدار بالعكس"[7].

إذا عرفت هذا، واستقر في قلبك، فاعلم أنه يترتب عليه حكم شرعي وهو: الهجرة من تلك الدول الكافرة، إلى دولة الإسلام، وليست هذه الهجرة على حسب الهوى والنفس، وإنما هي حكم شرعي أمر الله ورسوله ﷺ به.

فأما ربنا تبارك وتعالى فقد أمرنا بالهجرة وأثنى على المهاجرين من دار الكفر إلى دار الإسلام، والتي كانت حينئذ: المدينة. ويبقى حكمها –أي الهجرة– إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: 97] وقد مرَّ ذكرُها.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: 72 – 75]. والآيات في هذا الباب كثيرة.

---

(7) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص: 976).

وأما الأحاديث، فمنها قوله ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتَلُ**»[8].

وقوله ﷺ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ؟ **قَالَ**: «**لاَ تَرَاءَى نَارَاهُمَا**»[9].

قال ابن رشد القرطبي رحمه الله: "واجب بإجماع المسلمين على من أسلم بدار الكفر: أن لا يقيم بها حيث تجري عليه أحكام المشركين، وأن يهاجر ويلحق بدار المسلمين حيث تجري عليه أحكامهم، قال رسول الله ﷺ: "أنا بريء من كل مسلم مقيم مع المشركين"، إلا أن هذه الهجرة لا يحرم على المهاجر بها الرجوع إلى وطنه، إن عاد دار إيمان وإسلام، كما حرم على المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ الرجوع إلى مكة للذي ذخره الله لهم من الفضل في ذلك.

فصل: فإذا وجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة على من أسلم ببلد الحرب أن يهاجر ويلحق بدار المسلمين ولا يثوي بين المشركين ويقيم بين أظهرهم، لئلا تجري عليه أحكامهم، فكيف يباح لأحد الدخول إلى بلادهم؛ حيث تجري عليه أحكامهم في تجارة أو غيرها، وقد كره مالك -رحمه الله- أن يسكن أحد ببلد يسب فيه السلف، فكيف ببلد يكفر فيه بالرحمن وتعبد فيه من دونه الأوثان، لا تستقر نفس أحد على هذا إلا وهو مسلم سوء مريض الإيمان"[10].

وقال الإمام الماوردي رحمه الله: "فأما الهجرة في زماننا فتختص بمن أسلم في دار الحرب، في الهجرة منها إلى دار إسلام، ولا تختص بدار الإمام.

وحاله ينقسم فيها خمسة أقسام:

(8) أخرجه أحمد مسند أحمد (3/ 206) برقم 1671.
(9) أخرجه أبو داود (2/ 349) برقم 2647.
(10) المقدمات الممهدات (2/ 153).

أحدها: أن يقدر على الامتناع في دار الحرب بالاعتزال، ويقدر على الدعاء والقتال؛ فهذا يجب عليه أن يقيم في دار الحرب، لأنها صارت -بإسلامه واعتزاله- دار الإسلام، ويجب عليه دعاء المشركين إلى الإسلام بما استطاع من نصرته بجدال أو قتال.

والقسم الثاني: أن يقدر على الامتناع والاعتزال ولا يقدر على الدعاء والقتال، فهذا يجب عليه أن يقيم ولا يهاجر، لأن داره قد صارت -باعتزاله- دار إسلام، وإن هاجر عنها عادت دار حرب، ولا يجب عليه الدعاء والقتال لعجزه عنها.

والقسم الثالث: أن يقدر على الامتناع ولا يقدر على الاعتزال ولا على الدعاء والقتال، فهذا لا يجب عليه المقام، لأنه لم تصر داره دار إسلام، ولا تجب عليه الهجرة، لأنه يقدر على الامتناع.

وله ثلاث أحوال: أحدها: أن يرجو ظهور الإسلام بمقامه، فالأولى به أن يقيم ولا يهاجر. والثاني: أن يرجو نصرة المسلمين بهجرته فالأولى به أن يهاجر ولا يقيم. والثالث: أن تتساوى أحواله في المقام والهجرة، فهو بالخيار بين المقام والهجرة.

والقسم الرابع: أن لا يقدر على الامتناع ويقدر على الهجرة، فواجب عليه أن يهاجر وهو عاص إن أقام، وفي مثله قال رسول الله ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم مع مشرك** قيل: ولم يا رسول الله؟ قال: **لا تراءى ناراهما**»، ومعناه: لا يتفق رأياهما، فعبر عن الرأي بالنار، لأن الإنسان يستضيء بالرأي كما يستضيء بالنار.

ومثله ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تستَضِيؤُوا بنارِ أهْلِ الشِّرك**»[11] أي لا تقتدوا بآرائهم.

والقسم الخامس: أن لا يقدر على الامتناع ويضعف عن الهجرة فتسقط عنه الهجرة، لعجزه، ويجوز أن يدفع عن نفسه بإظهار الكفر، ويكون مسلما باعتقاد الإسلام والتزام أحكامه.

(11) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 40) برقم 9375.

ولا يجوز لمن قدِّر على الهجرة أن يتظاهر بالكفر لأنه غير مضطر، والعاجز عن الهجرة مضطر، ويكون فرض الهجرة على من آمن فيها باقيا ما بقي للشرك دار"[12].

قال مقيِّدُه –عفا الله عنه–: فهذا حكم الله ورسوله ﷺ في اختيار دار الإسلام للإقامة فيها، وذلك نصرة للمسلمين، وتكثيرًا لسوادهم، وتمييزًا بين الديار، لتنوع الأحكام بتنوع الديار.

والمؤمن لا همَّ له سوى رضا الله تعالى، فبحبِّ اللهِ يحب، وببغضِ اللهِ يبغض، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا**»[13].

ولقد أثمرت فتنةُ الشام طائفتين من الناس: طائفة فرحت، وسُرَّت بقيام الدولة الإسلامية، فناصرتها، ودعت إليها، وهاجرت إليها –من بلدان شتَّى–، وطائفة حاربتها، وحذَّرت منها، وتحزَّبت لاستئصالها، وهذا من حكمة الله تعالى بعباده، مما قضاه وقدره ليميزَ الخبيث من الطيب، والصَّادق من الكاذب، المؤمن من المنافق.

ومما أخبرنا به النبيُّ ﷺ أن عند اقتراب الساعة ستكثرُ الفتن، ويكثرُ الهرج –الذي هو القتل– فقال: «**وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِى أُمَّتِى لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِى بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِى الأَوْثَانَ...**»[14].

فانظر –يا رعاك الله– إلى هذا النبإ العظيم، والخطر الجسيم، حيث وقع ما أخبر به النبيُّ ﷺ، فإنَّ ما حصل من فتنة في أرض الشام والعراق، ألجأ ضعافَ الإيمان إلى إيثار النُّزوحِ إلى دول الكفر، بدل الهجرة إلى الدولة الإسلامية، وما ذلك إلا رغبةً في حياة التَّرف والمجون تحت ظل أحكام كفرية، وقوانين جاهلية، تزعم أنها قادرة على توفير الراحة والأمن لمن دخلها واستوطن بها واتخذها إقامة له.

---

(12) الحاوي الكبير (14/ 104-105).

(13) أخرجه مسلم (2/ 132) برقم 1560.

(14) أخرجه أبو داود (4/ 157) برقم 4254.

فأين إيمانُكم يا من رضيتم باللهِ ربًّا، وبمحمدٍ نبيًّا ورسولًا، وبالإسلام دينًا؟ أما علمتم أن خير أرض –خير دولة– هي الأرض –الدولة– التي يتمكن فيها العبد من طاعة ربه كما ينبغي، ولا يتأتى له ذلك إلا بأرض فيها الصالحون، فيها أهل الحسبة، فيها أهل السنة، فيها حكم الله وحكم رسوله ﷺ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أفضل الأرض في حقِ كلِّ إنسانٍ أرضٌ يكون فيها أطوع لله ورسوله، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، ولا تتعين أرض يكون مقام الإنسان فيها أفضل، وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان، بحسب التقوى والطاعة والخشوع والخضوع والحضور.

وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: "هلمَّ إلى الأرض المقدسة"، فكتب إليه سلمان: "إن الأرض لا تقدِّس أحدًا، وإنما يقدس العبد عمله"[(15)].

قال مقيِّدُه –عفا الله عنه–: ولنا في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم أراد أن يتوب، عبرةٌ وحكمةٌ، حيث قال له العالم: "ومن يحول بينك وبين التوبة؟ اخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة –قرية كذا وكذا– فاعبد ربَّك فيها، قال: فخرج إلى القرية الصالحة فعرض له أجله في الطريق.." الحديث[(16)].

فهكذا حال المؤمن التائب الصالح، يبحث عن مكان يلقى في الصالحين، الذين يذكِّرونه بالله عز وجل، أمَّا في بلاد الغرب –الكفر– فماذا سيجد؟ سيجد –والله– منكرات أشد مما تركها في بلده، وسيجد كثرة الأسواق، والاختلاط الماجن، والضرب بالناقوس في الكنائس، ناهيك عن رؤية الغربيين للمسلم بعين الاحتقار والذل والعنصرية.

أما إن سألنا عن مصير الأطفال؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله! إنها فرصة ثمينة للنصارى والجمعيات الكافرة، حيث ستزعم أنها تريد إنقاذ الطفل من الضياع، وستظهر بوجه حنون وعطوف، وسترفع شعار:

---

(15) مجموع الفتاوى (18/ 283).

(16) أخرجه مرفوعًا ابن ماجه (2/ 875) برقم 2622، وأحمد (17/ 244) برقم 11154.

"الإخاء والمساواة والحب والسلام العالمي"، وما ذلك إلا لذوبان عقيدة التوحيد من قلوب الآباء والأبناء، وعقيدة الولاء والبراء.

أما حقيقةُ القوم -اليهود والنصارى- فقد أخبرنا بها ربُّنا في آية بينة محكمة، فقال -وهو أعلم بهم وبنا سبحانه-: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ [البقرة: 120]. هكذا بصيغة النفي على التأبيد والاستقبال: (لن).

وقال سبحانه: ﴿**هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [آل عمران: 119]، وهذه حقيقة نشاهدها ونلمسها من شبابنا -ذكورًا وإناثًا- حيث تعلقت قلوبهم بمحبة الكفرة، انطلاقًا من الشعارات الزائفة، والإعلام الكاذب، والأفلام الخادعة.

واليهود -على خصوص- قوم أشحَّةٌ على الخير، لا يطيقون أن ينعم الله على عبد من عباده بشيء من عنده، فلو كان لهم مال لضنُّوا بكزازتهم وشُحِّهم أن يعطوا الناس نقيرًا منه. واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**﴾ [النساء: 53]، والنقير: شكلة في النواة كالدائرة، يضرب بها المثل في القلة، كما في قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**﴾ [النساء: 124]. فهذه -على صغر حجمها- لا تسمح كزازةُ يهود وأثرتُها البغيضة أن تعطيها للناس!

فهل بعد هذا البيان الربَّاني يثق مؤمن بوعود الغرب الحاقد؟! ويغامر بحياته -بل وبدينه- ليقيم بين أظهرهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا صَفْوَةُ بِلادِ اللَّهِ يَسْكُنُهَا خِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ، وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**»[17].

(17) أخرجه الطبراني المعجم الكبير (15/ 434) برقم 17603، وله شواهد عند أحمد وغيره.

فيا عجبًا من مؤمنٍ يزعم أنَّه يصدِّق نبيَّه ﷺ، ويثق بكلامه أوثق من غيره، كيف يسمع: "عليكم بالشام، يسكنها خيرته من خلقه" ثم يؤثر السكنى بألمانيا، وتركيا، وفرنسا، وإيطاليا، وابريطانيا... وفي الوقت نفسه، يسمع ويرى كل ليلة أن تلك الدول قد أطلقت صواريخ على -محمد وعبد الله وعبد الرحمن وفاطمة وعائشة وخديجة...صغارًا وكبارًا، رضَّعًا وشيوخًا- من إخوانه المسلمين المقيمين في دولة الإسلام**!!**

فالله الله يا إخواني: إنما المصيبة ما كانت في الدِّين، أما مصيبة الدنيا فسحابة صيف، وخيال طيف، قال حاتم الأصم رحمه الله: "فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف، لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا"[18].

لا تأسفن على الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
ومن يكن همه الدنيا ليجمعها ... فسوف يوما على رغم يخليها
لا تشبع النفس من دنيا تجمعها ... وبلغة من قوام العيش تكفيها
اعمل لدار البقا رضوان خازنها ... الجار أحمد والرحمن بانيها[19]

فالبلاء في هذه الدنيا لابد منه، والمغرور الجاهل من ظن أن لا بلاء ولا محنة، قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "قال لي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مرة العوارض والمحن كالحر والبرد، فإذا علم العبد أنه لابد منها لم يغضب لورودها، ولم يغتم لذلك ولم يحزن"[20].

فالصبر على البلاء فوق أرض الخلافة خيرٌ من رغد العيش فوق أرض يُسَبُّ فيها ربُّ العزة، وينسب إليه الولد، وتُعطَّل فيها شريعته، وتُشاع فيها الفواحش والمنكرات.

فاللهمَّ فاشهد، فاللهمَّ فاشهد، فاللهمَّ فاشهد.

---

(18) المستطرف: 14.

(19) منسوبة لعلي رضي الله عنه.

(20) مدارج السالكين: 389/3.

اللهمَّ احفظ دولة الإسلام وأعزَّها، وأعزَّ جندَها ومناصريها، وأيِّد عبدَك أبا بكرٍ البغدادي –خليفةَ المسلمين– بتأييدك، واحفظه بحفظك، واكلأه بعنايتك، وارزقه البطانةَ الصالحةَ التي تعينه على أمر دينه ودنياه، ربَّنا ولا تُشمت بنا الأعداء، واكفنا شرَّهم بما شئت.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحبه.

وكتبه على عجلٍ، وعين قلبِه مغرورقةٌ دموعًا:

أبو عبد الله محمد أيوب القرشي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين أجمعين

ليلة الخميس 26 **من ذي القعدة** 1436 **هـ**